في التاريخ السياسي

الدبلوماسية الأوربية

في طورها الجديد

بقلم باحث دبلوماسي كبير

اجتازت الدبلوماسية الأوربية منذ نهاية الحرب الكبرى ثلاث مراحل : الأولى مرحلة التصفية وهي التي شغلت فيها الأمم الظافرة والمهزومة معا بتصفية التركة الفادحة التي خلفتها الحرب ، واحتملت الدول المهزومة معظم تبعاتها وأعبائها . والثانية يمكن تسميتها بمرحلة عصبة الأمم ولوكارنو ، وهي المرحلة التي اشتد فيها ساعد العصبة بمؤازرة الدول الظافرة وانضمام المانيا المهزومة إليها لأول مرة بعد أن قامت بتأدية معظم الاعباء والمغارم التي فرضت في معاهدة الصلح ؛ وفي أثنائها أيضا تقدمت فكرة السلامة المشتركة تقدما عظيما ، فعقد ميثاق لوكارنو لتأمين سلامة حدود الرين بين المانيا وفرنسا وبلجيكا ، وعقد مؤتمر نزع السلاح واستمر حينا يباشر أعماله ، وعقد ميثاق تحريم الحرب الذي اقترحته امريكا على دول العالم ، وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٩٣٢ . والمرحلة الثالثة ، مرحلة السياسة القومية العنيفة ، وعود الدبلوماسية الاوربية إلى أساليبها القديمة من عقد المحالفات والمواثيق العسكرية الظاهرة والخفية ، وتكوين الجبهات الخصيمة ، والتسابق في التسليح ، وهذه هي المرحلة التي تجتازها أوربا اليوم .

ولا شك أن هذه المرحلة هي أخطر وأدق مرحلة انتهت اليها الدبلوماسية الاوربية مذ عقدت معاهدة الصلح (معاهدة فرساي) ولا شك أيضا أنها تسير بأوربا إلى موطن الفصل

وتنقسم أوربا اليوم إلى معسكرين واضحين هما معسكر الدول الفاشستية التي تتخذ شعارها القومية المتطرفة والعسكرية المتوثبة والتسليح الشامل ، وقوام هذه الكتلة ايطاليا الفاشستية والمانيا النازية . ومعسكر الدول الديمقراطية إذا صح التعبير ، وشعارها السلام المسلح ، والاستعداد لدفع الاعتداء الذي قد يقع عليها من الدول الفاشستية ، وقوام هذه الكتلة انكلترا وفرنسا تؤازرهما روسيا السوفيتية .

وهذا التطور الحاسم في سير الدبلوماسية الاوربية ، وتحولها من ميدان التعاون السلمي الذي عملت فيه من قبل إلى ميدان التنابذ والخصومة المسلحة يرجع قبل كل شيء إلى عنف الفاشستية الايطالية والالمانية وإلى شهواتها وأطماعها المغرقة وإلى اعتدادها بالقوة المادية الغاشمة ؛ بيد أن الفاشستية تلقى التبعة في ذلك على الدول الديمقراطية وعلى ما أبدته من الأثرة في استخلاص المغانم الاستعمارية والاقتصادية لنفسها دون ايطاليا والمانيا ، ودفعهما بهذا التصرف إلى خطة العنف واليأس التي تلجآن اليها

وتستقبل الدبلوماسية الاوربية عهدها الجديد بسلسلة من الاحداث والظواهر الجديدة ؛ أولها وأهمها انهيار ميثاق لوكارنو نهائياً ، بعد أن نقضته المانيا من جانبها في العام الماضي ؛ وانحلال التحالف الصغير في شرق أوربا بعقد الميثاق الايطالي اليوجوسلافي ؛ وتوثق العلائق بين السياستين الفرنسية والبريطانية ؛ وفتور العلائق بين تركيا وروسيا السوفيتية ، وتقدمها في الوقت نفسه بين تركيا وايطاليا وتقوية الجبهة الايطالية الألمانية واشتداد ضغطها في وسط أوربا وفي شرقها

وقد كان عقد الميثاق الفرنسي الروسي في أوائل العام الماضي أول نذير بانهيار الأوضاع القائمة ، ففي ٧ مارس سنة ١٩٣٦ ، أعلنت ألمانيا نقضها لآخر الشروط العسكرية التي فرضت عليها في معاهدة الصلح وهي الخاصة بتجريد منطقة الرين من التسليحات والتحصينات ، وأعلنت في نفس الوقت نقضها لميثاق لوكارنو ، بحجة أن الميثاق الفرنسي الروسي قد عقد بقصد تهديدها وتطويقها وأن عقده مخالف لما كفلته نصوص ميثاق لوكارنو من سلامة الحدود الألمانية الفرنسية على الرين ؛ وكان تصرف ألمانيا ضربة قاضية لهذا الميثاق الذي علقت عليه أوربا والعالم كله يوم عقده أعظم الآمال ، ولم تلبث بلجيكا وهي إحدى الدول الموقعة عليه ، والتي تستمد

سلامة حدودها من نصوصه ، أن رأت أيضاً أن تتحرر من تبعاته ، فأعلنت سياسة الاستقلال والحياد الجديدة التي انتهت أخيراً بصدور تصريح بريطاني فرنسي يحررها من تبعاتها المترتبة عليها في ميثاق لوكارنو ، مع استبقاء تعهد فرنسا وبريطانيا من جانبهما بالدفاع عن البلجيك في حالة الاعتداء عليها ؛ وهكذا انهارت دعائم هذا الميثاق الذي كان دعامته السلام في غرب أوربا ، وحلت مكانه حالة جديدة لم يتضح مداها بعد ؛ على أن هنالك حقيقة لاريب فيها ، هو أن ، انهيار ميثاق لوكارنو ، وما اقترن به من مضاعفة التسليح الألماني ، وتقدم النفاهم بين ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية كان عاملا في إذكاء استعدادات فرنسا وبريطانيا العسكرية ، وفي توثق العلائق بينهما

وكان للمسألة الحبشية أثرها القوي في التقرب بين إيطاليا وألمانيا ، وتوجيه الأوضاع الجديدة للدبلوماسية الأوربية ، فقد رأت ايطاليا بعد الذي لقيته أثناء اعتدائها على الحبشة من خصومة بريطانيا ، أن تنسلخ نهائياً عن كتلة الدول الغربية ، وأن تتقرب إلى ألمانيا النازية التي تؤمن بمثل مبادئها العسكرية العنيفة ، والتي أيدتها وآزرتها خلال الأزمة الحبشية لأنها تجيش بمثل مطامعها الاستعمارية . وقد أثمر هذا التقرب بين الدولتين الفاشستيتين ثمرته في أوربا الوسطى وأوربا الشرقية ؛ وتبدو نتائج هذا التطور واضحة في موقف إيطاليا نحو النمسا ومسألة انضمامها إلى ألمانيا (الآنشلوس) ، فقبل التقرب الألماني الايطالي ، كانت ايطاليا تعارض هذا الانضمام بكل قوتها ، وتعلن أنها مستعدة لتأييد الاستقلال النمسوي بالقوة المادية إذا اقتضى الأمر ، وما زلنا نذكر موقفها في سنة ١٩٣٤ حينما وقعت الثورة النازية في النمسا ، فقد حشدت بعض قواتها على الحدود النمسوية استعداداً لمقاومة أي حركة تقوم بها ألمانيا في سبيل الاستيلاء على النمسا . أما اليوم فان السياسة الايطالية حسبما تبين من مباحثات الدكتور شوشنج المستشار النمسوي والسنيور موسوليني ، لاتريد أن تذهب في سبيل تأييد النمسا إلى هذا الحد ، خصوصاً وأنها ترى مسألة الضم إلى ألمانيا بعيدة الحدوث في الوقت الحاضر ؛ وتحاول السياسة الايطالية فوق ذلك أن تباعد بين النمسا وتشيكوسلوفا كيا التي تربطها بروسيا علائق وثيقة . ومن جهة أخرى فان التحالف الصغير المكون من تشيكوسلوفا كيا ورومانيا ويوجوسلافيا قد تصدعت أسسه من جراء التقرب بين يوجوسلافيا وايطاليا وارتباطهما بميثاق صداقة وتفاهم ؛ وهذا الميثاق الجديد فضلا عن كونه يلطف حدة التنافس بين الدولتين ، يمهد لنفوذ ايطاليا في البلقان ؛ وهنا تصطدم جهود السياسة الفاشستية والسياسة النازية ، ذلك أن ألمانيا تريد أيضاً أن تمكن لنفوذها في البلقان ، وان تستأنف زحفه القديم نحو الشرق ؛ ولكن إيطاليا استطاعت أن تسبقها في هذا الميدان على مايلوح ، وذلك بعقد الميثاق اليوجوسلافي ، والتقرب إلى تركيا الكمالية تقرباً ربما أسفر في القريب العاجل عن عقد ميثاق بين الدولتين ؛ كذلك تتودد إيطاليا إلى اليونان وتعمل على توثيق العلائق معها

وهكذا تنشط السياسة الفاشستية للعمل السريع الحاسم في حوض الدانوب وفي شرق أوربا ؛ وتعمل السياسة النازية من جانبها ، في نفس الميدان ، في الحدود التي خصصت لنفوذها فيما يسمونه « محور برلين رومه » ، وتعمل بالاخص في المجر ورومانيا ، هذا عدا محاولاتها في النمسا ؛ وترمي ايطاليا بهذه الجهود الدبلوماسية المتواصلة الى تأمين مكانتها وسلامها في شرق البحر الأبيض المتوسط لكي تتفرغ الى العمل في هذا البحر ، ضد بريطانيا العظمى وضد ما تدعيه لنفسها فيه من السيادة البحرية ، ولتحقق ما تزعمه لنفسها من الاطماع الاستعمارية ؛ وترمي المانيا النازية بالعمل في شرق أوربا وفي البلقان الى تكوين جبهة موحدة ضد روسيا السوفيتية بيد أنه يشك كثيراً فيما اذا كانت المانيا تفيد من هذه الجهود ضد المارد الروسي العظيم

ويجب أخيرا ألا ننسى المشكلة الأسبانية الشائكة ، وما كان لها من أثر في هذا التطور الجديد في سير الدبلوماسية الأوربية ؛ وسيكون لنتائج الحرب الأهلية الأسبانية متى استقرت نهائياً أثرها العميق أيضا في توجيه الأوضاع السياسية الجديدة في غرب أوربا

وقد أدركت الدولتان الغربيتان الكبيرتان ، أعنى بريطانيا العظمى وفرنسا ، ما تقتضيه هذه العوامل والظروف الجديدة من تغيير عميق فى سياستيهما ، وخصوصاً أزاء ما تبديه الدولتان الفاشستيتان أعنى ايطاليا وألمانيا من نشاط متواصل فى الاستعدادات العسكرية ؛ فاما فرنسا فقد اقتنعت بأن المواثيق والعهود الدولية لم تبق لها قيمة يعتمد عليها وان المانيا النازية بعد أن حطمت كل ما تبقى من عهودها فى معاهدة الصلح وفى لوكارنو ، وأخذت تستأنف قواها العسكرية القديمة ، لا يمكن ردها وكبح جماح عدوانها وأطماعها الا بمضاعفة الاهبات العسكرية ، وهذا ماتفعله اليوم هى وحليفتها روسيا السوفيتية التى تحذر من عدوان المانيا مثل ما تحذر فرنسا ؛ واما بريطانيا العظمى ، فقد اقتنعت بعد مأساة الحبشة بانهيار فكرة السلامة المشتركة وعبث الاعتماد عليها فى رد الاعتداء المدبر ، وأدركت ما يهدد سلامة الامبراطورية البريطانية من جراء ظهور الفاشستية الايطالية بمظهر الظافر المتحفز ؛ فاخذت تستدرك بسرعة مدهشة ما فاتها من الاهبات العسكرية ، ووضعت برنامجا هائلا للتسليح يكفل لها تفوقها القديم فى البحر والهواء ويمكنها من أن تعود فتملى كلمتها وارادتها على أولئك الذين يتحرشون بها ويحاولون تحديها ومنافستها ، وتزداد العلائق توثقا بين الدولتين الغربيتين الكبيرتين ، يجمع بينهما الخطر المشترك ، والمصالح المشتركة ، وروابط الديموقراطية

وهكذا تعود أوربا الى ما كانت عليه قبل الحرب : معسكران خصيمان يعمل كل منهما لاحراز التفوق فى الاهبات العسكرية ، ويسيطر كل منهما بنفوذه على عدد من الدول الصغيرة ؛ وهذان هما معسكر الفاشستية ، تقوده المانيا وايطاليا ، ومعسكر الديموقراطية تقوده بريطانيا وفرنسا ؛ وهكذا تعود الدبلوماسية الأوربية الى وسائلها القديمة من عقد المحالفات العسكرية والمعاهدات السرية والاعتماد على القوة الغاشمة

(***)

فى الأدب المقارن

الخيـــــال

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

الخيال ، أو القدرة على انتزاع شتى الصور الذهنية من الواقع واستحضارها والتصرف فيها ، من المواهب التى يمتاز بها الانسان على سائر الاحياء ، ويمتاز بها النابغة على سائر الناس . ورقى العلم رهين برقيه ، واتساع الأدب متصل باتساعه ، وهو بين الجماعات الأولى مصدر تلك الأساطير والأوهام التى تسود بينهم ، كما أنه مصدر ماتغص به اللغات من مجازات وتشبيهات ، بها تتسع جوانب اللغة وجوانب التفكير معا أيما اتساع ، ولولا الخيال لالتزم الفكر الانسانى الواقع المتحجر أى التزام

والخيال قوام جانب عظيم من الأدب ، إن لم يكن قوام الجانب الأرقى فيه ، إن لم يكن قوام الأدب جميعاً : فالمجازات والتشبيهات يتأتى للأديب أن يصور شعوره ويبرز تفكيره ، إذ يمثل لنضرة الخد بنضرة الورد ، ولطلعة البطل بهيبة الأسد ، ولجيشان المعركة بتدافع الآذى ، ولهم جرا . وبالخيال يستطيع الأديب أن يسبك موضوعه ويجمع أطرافه ، وينبذ ما لا حاجة به إليه من تفصيلات قد تشوه ماهو بسبيله ، ويضفى ثوبا من الجمال والانسجام على ما ينشىء . والخيال أظهر ملكات الشاعر وأول مميزات الشعر التى تفرق بينه وبين النثر

وارتقاء الخيال واتساعه وكثرة آثاره أهم ظواهر دخول الأدب فى طوره الفنى : فانه إذا خرجت الأمة من بداوتها وعزلتها وبسطت سيادتها واتصلت بجيرانها القريبين والبعيدين ، وتحضرت وتثقفت ، اتسعت أذهان أبنائها وترامى خيالهم وتصوروا من الحقائق والمعانى والممكنات مالم يكونوا يتصورون ، وغزر المعين الذى يستمدون منه التشبيهات والاستعارات ، وينتزعون منه الحكم والأمثال ، ويتوفر الفراغ ويتسع للجهود الأدبى المتصل ، فتظهر القصة والدرامة والقصيدة الطويلة ، ويحلق الأدباء فى أجواز الخيال وآماد الماضى والمستقبل ، مبتعدين عن دواعى الحاضر الحازبة ومجالاته الضيقة ، ولا يبلغ الأدب أوج رقيه